# عاميّات تهدّد مستقبل الفصحى في الجزائر

زين الدين بن موسى. جامعة منتوري . قسنطينة

❖❖❖❖❖

ملخص

لقد تنوّعت العاميّات في **الجزائر وانتشرت انتشار** النّار في الهشيم، حتّى **باتت تقضّ مضجع اللّسان** الفصيح بأن اكتسحته وغشيته من كلّ جانب وفي **كلّ مقام ومقال، وممّا** يؤسف له حقّا أن نجد من ينادي صراحة بالتّمكين لهذه العاميّات، وترقيتها وإحلالها محلّ الفصحى التي لا نشكّ بأنّها الأساس الوحيد لوحدتنا وتواصلنا فيما بيننا من جهة **بوصفنا أبناء وطن واحد** وبين غيرنا من أبناء **الوطن العربي والإسلامي.** وسنحاول من خلال هذه **الدّراسة أن نرصد ملامح** طغيان العاميّات المتعدّدة **والمتنوّعة في الجزائر** على الفصحى، وكيف أنّها عملت وستعمل تدريجيّا على **انحسار اللّسان العربي** الفصيح في البيئة الجزائريّة؛ إن لم يكن ثمّة مخطّط للحدّ من هذا **المدّ الجارف الذي تعالى** موجه بعد الاستقلال، فإذا **كان** تفصيح العاميّة أمل **المستقبل للقضاء على** الثنائية اللغويّة، فكيف يتمّ ذ**لك مع تعدّد** العاميّات، وتنوعّها؟

**Résumé**

Devant la poussé horrifiante des dialectes en Algérie, leur diversification et leur large propagation au point de marginaliser la langue arabe, sauf dans le domaine littéraire, on ne peut déplorer dans ce contexte la détermination de certains milieux qui tentent par leurs appels incessants de la remplacer par ces dialectes. Mais peut on écarter le seul outil qui cimente notre unité et assure notre lien national et avec

le monde arabe et musulman? De là, nous essayerons dans cette étude de recenser les signes des abus constatés des ces dialectes et leur impact néfaste sur la langue mère. Et la question qui se pose est: que peut ont faire pour juguler ce phénomène indispensable pour mettre fin au bilinguisme et rétablir la langue arabe dans son contexte légitime?

❖❖❖❖❖

مقدّمة:

تختلف اللّغة العربيّة عن نظيراتها من اللّغات السّامية وغيرها من اللّغات الهندوأوروبيّة لأنّها لا **تتطوّر وفق السّنن** التي تطوّرت بها تلك اللّغات، فاللّغة العربيّة مرتبطة بنصّ مقدّس هو القرآن الكريم، الذي كفل لها الدّوام على ما هي عليه من فصاحة تتباين نطقا و رسما عن أيّ لهجة من لهجاتها، حيث لا يوجد انحياز إلى لهجة عربيّة بعينها يمكن أن تطغى في نصّه الشّريف عن غيره. **فالف**صحى في اللّغة العربيّة هي خاصيّة جامعة، لا تتنازع حولها لهجاتها، كما هي الحال في اللّغات الأخرى التي إن هي تطوّرت فقدت جزءا كبيرا من معالمها الأصيلة الأولى التي أُسّست عليها، وهذه الحركيّة في نمّو أيّ لغة يمكن أن تكون طبيعيّة؛ بالنّظر إلى اختلاف طبيعة المجتمع الذي يتماشى مع عصره الذي يعيش فيه، ممّا يجعل كلّ مجتمع غير مضطرّ للالتزام بأنظمة لغته القديمة، فهو حتما سيغيّر من معجمها اللّغوي وفق متطلّبات التّفكير والتّواصل في زمن تواجد المجتمع؛ الذي يكون محضنا لنشأة لغة جديدة يكاد يعتقد أنّها وليدة

فكره، إلاّ أنّ ذلك لا يمكن أن يؤكّد حقيقة تطوّر اللّغة من أصول لا تنفصل جذورها عنها تمام الانفصال.

أمّا في اللّغة العربيّة فُصحتها خاصيّة تذود عن حماها، وتمنع طغيان العاميّات عليها، وتشويه أنظمتها، فهي ـ أي اللّغة العربيّة ـ على الرّغم من مرور أربعة عشر قرنا، إلاّ أنّها لا تزال محافظة على نمطيّة نظامها، وذلك عند العودة إليها واتّخاذها وسيلة للكتابة والحوار، فما كان من المجتمعات العربيّة إلاّ أن حاولت تطعيم معجمها بألفاظ من العاميّة الهجينة، وذلك بفعل الاستعمار الذي أقحم لغته تدريجيّا في المعجم اللّغوي للمجتمعات المستعمرة، التي تشرّبت تلك الألفاظ الغريبة عن لهجاتها قبل تواجد الاستعمار على أرضها؛ لأنّ هذه المجتمعات لم تكن حتما تتحدّث باللّغة العربيّة الفصحى قبل حلول فلول الاستعمار، لأنّها كانت تمتلك لهجة لها من الخصائص ما يربط أكثر أصولها باللّغة العربيّة الفصحى، نظرا لشيوع استخدام الفصحى في دوائر السّلطة والمؤسّسات العلميّة على اختلاف أشكالها، فمن كان يتحدّث اللّهجة، لم يكن له لينأى عن فهم أيّ نصّ منطوق أو مكتوب باللّغة العربيّة الفصحى، فهو يتعامل بها أثناء ولوجه إلى تلك المؤسسات الرّسميّة التي لم تستطع تهميش اللّغة، بوصفها لغة الدّين الذي كان مسيطرا على الفكر جملة.

فلئن كانت اللّغة العربيّة الفصحى منذ نشأتها، تسير جنبا إلى جنب مع لهجاتها التي زاحمتها، زمنيّا وتزامنيا، إلاّ أنّها لم تحاول إلغاءها وتهميشها وازدراءها، كما هي عليه الحال مع العاميّة المعاصرة، التي أبت إلاّ أن تنفرد بمعجمها، في ذهن الخواصّ والعوامّ من النّاس في

الأسرة والشّارع والمؤسّسات، على اختلاف مهامّها، بما في ذلك المؤسّسات العلميّة التي يُفترض أن تستقلّ باللّغة العربيّة، وتجعل من أسوارها حصنا منيعا للحفاظ عليها ماديّا ومعنويّا. فالمتعلّم في مثل تلك المؤسّسات لابدّ أن يلجها ويشعر بالتغيّر والفرق بين واقعين لغويين، الواقع اللّغوي للمجتمع، والواقع اللّغوي العلمي؛ لكي ينشأ في ذهنه حدود لما يجب أن تكون عليه لغته في بيته وشارعه، وداخل مؤسّسته التّعليميّة، فإن لم يشعر بهذا الفرق، وكانت اللّغة سيّان في البيئتين، البيئة الاجتماعيّة والبيئة العلميّة، فهو حتما لن يحصّل معارفه على تباين أفكارها بلغة واحدة، بل يحصّلها مشوّشة تتغيّر في ذهنه من سنة إلى سنة، ومن مرحلة تعليميّة إلى أخرى. لأنّ المعلّم الذي يأخذ عنه معارفه لا يثبت على لغة واحدة، بل يغيّرها بحسب مزاجه اللّغوي العامّي الذي لا يخضع في العادة إلى قواعد تحدّ من عشوائيّته في الكلام، وتبيّن له مواطن الخطأ والزّلل، لأنّ العاميّة لا حدود لها في الاستخدام، حتّى وإن اعتراها خطأ ظاهر، فهو سرعان ما يتوشّح بغيره من الألفاظ، التي لا تكاد تختلف عنه في بنيتها التي لا تحكمها قاعدة صرفيّة أو نحويّة. وإلاّ كيف نفسّر غياب حدود لمنتهى المعجم اللّغوي لمفردات العاميّة.

إنّ هذا الهاجس الذي سيطر على المجتمعات العربيّة، لاسيما في المغرب العربي، يكاد أن يضمحلّ بوصفه مشكلا عويصا يجب التخلّص منه والتعرّض لمدّه الجارف، حيث باتت الخشية من العربيّة الفصحى أكثر منها في العاميّة، لأنّ البيئة الاجتماعيّة أضحت متشبّعة بكلّ ما له علاقة بالعاميّة التي عمّت بمعجمها اللّغوي جميع المجالات ولم تستثن شيئا، حتّى اعتقدت الأجيال الصّاعدة أنّه لا

مناص من اعتماد هذه اللّغة الهجينة في التّواصل والقراءة والتّعليم بصفة عامّة، لأنّ هذه الأجيال وجدت نفسها غريبة عمّا تقرأه وتسمعه من مفردات وتراكيب لغويّة فصيحة، فظنّت أنّ هذه اللّغة من اللّغات البائدة التي يجب أن تعدّ من التّراث، وأن لا سبيل لاستحضارها في أيّ محفل من المحافل الاجتماعيّة والثّقافيّة، بل بلغ بهم تجنّيهم على اللّغة العربيّة الفصحى، بأن أرادوا أن يبعدوها عن محضنها الأساس، وهو الدّين الذي كان ولا يزال خير راع لحرمتها، وما فعلهم هذا بالمتعمّد في الغالب، بل هو ضرورة ألجأتهم إليها المفارقة التي يجدونها فيما يقرؤون من كتب، وما يسمعون من أحاديث على ألسنة المتكلّمين ببقايا من هذه اللّغة، وهذا ما لا يلحظونه في عموم حديثهم اليومي الذي لا يلزمهم باستخدام هذه اللّغة، قصد تبليغ فكرة ما، فالعاميّة التي يستخدمونها قادرة على أن تنوب مناب اللّغة التي يُطالبون بتحصيلها.

وما ساعدهم على التأكّد من هذه القناعة هو ما بات مهيمنا على وسائل الإعلام، ووثائق بعض المؤسّسات الرّسميّة؛ التي سمحت بتسلّل الألفاظ الأجنبيّة إلى لغتها وإن لم تكن بالمنطوق نفسه في لغتها الأصيلة، فهذا هو طبع العاميّة التي تقتات من تحريف اللّغات، ومزجها بشكل عفوّي، يكون الزّمن والاستخدام المستمرّ كفيلين باطّراد المفردة الجديدة في الاستعمال، خاصّة في ظلّ غياب مرجعيّة علميّة تراقب كيفيّة نشأة المصطلح وانتشاره ودواعي استخدامه، وما هي أسس استبعاده إن لم يكن صالحا للاستخدام أو وظيفيّا للدّلالة على معنى معيّن، فتسلّل العاميّة في الكتابات الرّسميّة كثيرا ما كان المصطلح أيسر سبيل لها، لأنّ أولئك الذين يكتبون ويؤلّفون لا يمكن أن يقرّوا بأيّ حال من

الأحوال؛ بأنّهم سبب في ولوج العاميّة بوصفهم أفصح من غيرهم، غير أنّ هذا الاعتقاد سرعان ما يتلاشى إذا ما علمنا أنّ اللّغة الرّسميّة لا يتمسّك بزمامها إلاّ هؤلاء الكتّاب والمؤلّفون.

**وما دام الكتّاب والمؤلّفون من أبناء** المجتمع، فلابدّ لهم أن يتأثّروا بمحيطهم ويُؤثّروا فيه، فهم إن كتبوا أقحموا الألفاظ العاميّة رويدا رويدا في كتاباتهم على أنّها مصطلحات تقرّب المعنى للقارئ، فكانت بذلك الكتابة بالعاميّة أو ببعض ألفاظها البداية الأولى لنشأة الثنائية اللّغويّة في المحافل الرّسميّة، التي تعدّ المؤسّسات العلميّة من أهمّها. وسأحاول في هذا المقال أن أعرض إلى مفهوم اللهجة و العامية وأحدد الفرق بينهما وأبين سبب تغلغل العامية في الأوساط العلميّة، وكيف أنّها لم تنشأ عند القدماء على الرّغم من وجود لهجات، كما سأحاول توضيح الآثار السلبيّة للعامية التي إن لم يُكبح جماحها؛ فإنّها ستقضي على العمليّة التعليميّة برمّتها، أو على البقيّة الباقية منها، ممّا سيؤدّي في النّهاية إلى فقدان الهويّة التي تعدّ اللّغة من أهمّ ركائزها.

### أوّلا: الفرق بين مصطلحي اللهجة والعامية

حاجة المرء إلى غيره وعلاقته مع بني جنسه ضرورة لابدّ منها؛ لأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، يأنس بمن حوله ويألف ويُألف، ممّا جعل اختلاط النّاس بعضهم ببعض أمر حتمي لا مناص منه، فهو يُحقّق لهم المنفعة الماديّة والمعنويّة. وهذا التّواصل بين **الأفراد في الأمّة** الواحدة أو بين أفراد أمم مختلفة، عادة ما ينشأ عنه تأثير وتأثّر في العادات والتّقاليد، حتّى الطّباع والشّخصيّة التي

لها من المرونة ما يمكّنها من التّأقلم مع أيّ محيط اجتماعي عاشت فيه، أو تعاملت مع أفراده لمدّة زمنيّة معيّنة، فأيّ علاقة بين الأفراد مهما كان نوعها فهي حتما ستترك بصمتها تظهر على كلا الطّرفين إمّا عاجلا أو آجلا، وأقلّهم اكتسابا يكون أقدر على التأثّر السّلبي.

فملكة الاستقطاب تكون بحوزة الأقوى دائما في أيّ مجال من مجالات الحياة، ومن أشدّ الأشياء تأثّرا وتغيّرا بالاحتكاك والتّواصل اللّغة البشريّة، التي تعبّر عن هويّة كلّ مجتمع، وتميّزه عن غيره لأنّها خصوصيّة أفراد في بيئة جغرافيّة، يتوارثونها ويفكّرون بها، وهي وسيلة التّواصل بينهم، في حلّهم وترحالهم، وهذه الميزة الاجتماعيّة للّغة الإنسانيّة هي التي عجّلت بسرعة تأثّرها وتأثيرها تماشيا مع الطّبيعة الإنسانيّة نفسها، ويكون هذا التغيّر في اللّغات متفاوتا فيما بينها، فليست اللّغة المرتبطة بدين مقدّس كاللّغة العربيّة، مثل التي انفصلت عن دينها بانفصال أهلها عنه، كما أنّ اللّغة التي تكون لسان حضارة راقية، فإنّها لا تتأثّر بل تُؤثّر، وهذا ما نلحظه في اللّغة الإنجليزية في العصر الحاضر.

فسيطرة لغة على لغة أخرى لا يكون إلاّ بالهيمنة كالاستعمار مثلا، أو بغياب الحسّ الحضاري الذي تنتسب إليه كلّ أمّة بوصفها محضنا أساسا لنموّ لغتها، وارتقائها بفعل حضارتها لا بفعل حضارة غيرها؛ التي إن امتدّت أصولها اللّغويّة إليها طمستها وجعلتها تضمحّل شيئا فشيئا، حيث تختفي تدريجيا من ألسنة أصحابها المنهزمين حضاريّا، وهذا ما يأذن ببروز الثنائية اللّغوية، التي تنشأ بفعل المدّ الخفيّ للغات حضارات أخرى على لغة أمّة منفتحة حضاريا، كما كانت عليه

الحال في عهد ازدهار الحضارة العربيّة التي انتشر مداها بفعل الإسلام وشريعته، فبدأت اللّغة العربيّة تظهر على ألسنة الأعاجم الذين اختاروا النّطق بها طوعا لحاجتهم إليها عند التعبّد، أو بُغية التّعاطي مع الوافد الجديد الذي يحمل قيما إنسانيّة لم يكن لهم سابق عهد بها.

إن ذلك المدّ الحضاري للإسلام أسهم في ظهور اللّحن، [1] يقول "ابن خلدون": «إنّما هي(اللّغة) ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول، كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا، فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم تغيّرت تلك الملكة بما ألقى إليها السّمع من المخالفات التي للمستعربين، والسّمع أبو الملكة اللّسانية، ففسدت بما ألقي إليها ممّا يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السّمع، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا، ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردة، شبه الكليّات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه، مثل أنّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع، ثمّ رأوا تغيّر الدّلالة بتغيّر حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعرابا، وتسمية الموجب لذلك التغيّر عاملا، وأمثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصّة بهم فقيّدوها بالكتاب، وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو. »[2]

يبدو أنّ الثنائية اللّغوية بدأت في التّبلور مع بدء الانحراف الذي أصاب اللّغة العربيّة، بسبب اختلاط العرب بغيرهم أثناء الفتوحات الإسلاميّة، وقد سجّل لنا "ابن خلدون" مظاهر انحرافات ثلاثة

تعرّضت لها العربيّة، وتشكّلت بسببها اللّغة العاميّة؛ التي تعدّ الطّرف الآخر للثنائية اللّغوية، مقابل الفصيحة، والانحرافات التي سجّلها "ابن خلدون "هي:

ـ انحراف في المستوى النّحوي، تنبّه العرب له فسارعوا إلى علاجه بقواعد النّحو التي وضعها "أبو الأسود الدّؤلي".

ـ انحراف في المستوى الدّلالي للألفاظ، تنبّه العرب له أيضا وألّفوا له المعاجم التي بدأها "الخليل بن أحمد" بكتاب (العين).

ـ انحراف في المستوى التّركيبي، الذي تكوّن نتيجة تفاعل بين الانحراف النّحوي والصّوتي، ويبدو أنّه ابتداء من القرن الرّابع الهجري تأصّلت الدّارجة فترسّخت معها الثنائية، وأخذت تزداد ترسّخا مع ما مرّ على الأمّة العربيّة والإسلاميّة من ضعف. [3]

والدّليل على استفحال هذه الظّاهرة السلبيّة، التي عمّت اللّغة العربيّة في القرون التي وليت الخلافة الرّاشدة، هو انتباه العلماء إلى نموّ ظاهرة اللّحن وانتشارها وطغيانها في الأوساط الاجتماعيّة، حيث انبروا لذلك وألّفوا كتبا في اللّحن[4] تطرّقوا فيها إلى أسبابه ومظاهره، ومدى تأثيره على اللّغة العربيّة، ممّا جعل الخواصّ ينأون بأنفسهم عن اللّحن خشية المعرّة والقدح في فصاحتهم، لكون معظمهم كانوا في سلك الخلافة أو مجالس العلماء وطلاّب العلم، فبقي بذلك الحذر من هذه الظّاهرة سببا في انزوائها وانحسارها في أوساط العامّة الذين لاكت ألسنتهم اللّحن، ودرجت عليه بداية من عهد العصر العبّاسي[5] الذي ازداد فيه نشاط الأعاجم، بحكم قربهم من دوائر الحكم ومجالس العلم. إلاّ أنّ هذا الشّيوع المذهل للّحن،

لم يكن له كبير الأثر في اللّغة العربيّة الفصحى، التي بقيت لسان القوم إلى وقت متأخّر. فالعرب قبل القرن الثّالث عشر، كانوا على درجة كبيرة من الوعي بحقيقة الهويّة المرتبطة باللّغة والدّين، حيث إنّ أكثرهم كانوا يفهمون ما يقرؤون ويكتبون باللّغة نفسها؛ حتّى وإن نطقوا بغيرها، ممّا ساعد على اضمحلال ظاهرة الثنائية اللّغويّة، التي لم تظهر جليّا وبشكل ملفت للانتباه؛ إلاّ بعد تشرذم العرب إلى دويلات بفعل ظهور الاستعمار.

فوفود فلول جيوش الاستعمار أذنت بميلاد الأيام الأولى من عصر ظهور العامية التي أرادها أولئك الغزاة بديلا عن اللغة الأصيلة، بوصفها مظهرا من أهم مظاهر الهوية والانتساب، فكان لابد من تقويض صرح العربية لسان القوم قبل أن يعرفوا هذا النمط الجديد من الاستعمار الذي رأى الوحدة **كامنة في ا**للغة نفسها، فإذا تميعت اللغة وتغيرت ألفاظها بدأت ملامح غربة أهلها الذين لا يجدون سلاحا للذّود عن مكتسبهم اللّغوي؛ لأنهم في شغل عنه بما هو باد للعيان من غزو واحتلال مادي، ممّا يؤدي إلى تراجع الاستخدام اللغوي الصّحيح رويدا رويدا في ظل انهماك أهله في محاربة العدو، وهذه الحال هي التي كانت عليها الشّعوب العربية حينما أقبل عليها هذا الوافد الذي تعمّد إصابة الفكر في مقاتله قبل الرّغبة في الأرض وثرواته،ا فكانت اللغة بذلك من أولويات استهدافاته؛ وذلك ما تفسّره تركيبة الجيوش الاستعماريُّة التي ضمت نخبة من المستشرقين الذين أوكلت لهم مهمّة استعمار **العقل والعبث بفكر الأمّة المستعمرة، والمغلوبة** على أمرها لأنّهم أدركوا بأن لا تفكير بدون لغة.

أ ـ مفهوم اللّهجة:

اللّهجة لغة مأخوذة من مادة " لهج " لَهِجَ بالأمر- لَهَجاً: أُولع به فثابرعليه واعتاده ولزمه[6] ، لَهْجة: جرس الكلام وأسلوب اللفظ، صفة التّعبير عن حالات نفسية وعن مضمون الكلام، واللّهجة لغة الإنسان التي جبل عليها واعتادها، وهي مجموعة نبرات تميّز لغة بلد أو محيط معين:- ْ" لهجة إنجليزية" ،" لهجة بدوية" -لهجة محلية " "لهجة جبلية ". وعلم اللّهجات : علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات[7] .

لهذا فرّق المعاصرون بين اللّهجة واللغة يقول الأستاذ "إبراهيم أنيس": « أمّا اللّهجة فهي مجموعة الصّفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد البيئة. والعلاقة بين اللّغة واللّهجة هي علاقة الخاص بالعام؛ لأن بيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة الظواهر اللغوية.» [8]

انطلاقا من هذا النص يمكن أن نفسّر اللهجة بأنّها اللّغة التي تنحدر من اللّغة الأصل وتأخذ أكبر عدد من سماتها ومميّزاتها، وتزداد في التفرّع عنها بإحداث جذور عن الأصول الأم ،كما هو الشأن مع اللّغة العربية التي كثرت لهجاتها وتفرّقت في البوادي، إلاّ أنّها لم تكن عنوانا لشتات شمل العرب، بل عبّرت عن ثراء اللّغة وتنوّعها، والدّليل في كلّ ذلك وجود مساقط لصور كل لهجة من لهجات العرب في القرآن الكريم، [9] وقد امتد هذا التمثيل في علم القراءات القرآنية التي أبانت عن ميزة التعدّد اللّهجي في لغة العرب ومن بعده لغة القرآن.

ب ـ مفهوم العامية:

يرادف هذا المصطلح في استخدامات اللّغة المعاصرة مصطلح اللغة الدّارجة؛ أي أنّها اللّغة التي اكتسحت عموم لسان الأمّة التي تنطق بغير اللّغة العربيّة الفصحى، فظاهرة العاميّة هي كلّ وجه لغوي يخالف أصل كلّ لغة حتى وإن لم تكن عربية؛ لأن العاميّة في جوهرها هي مزيج بين ثلاثيّة اللّهجة واللّغة الأصيلة وبعض ألفاظ اللّغة الدّخيلة، ففي اللّغة العربيّة مثلا، لم تحدث الثنائية اللّغويّة عندما كانت ثنائيّة اللّهجة والفصحى، بل نشأت الثنائية حينما ظهر صنف آخر من الألفاظ الأجنبيّة، التي لم تطاوع اللّسان العربي وبقيت على أصل بنيتها، فالعاميّة إذن فساد طرأ على الفصحى، وأصابها في الألفاظ والصيغ والجمل والإعراب.وهو ما نراه اليوم في اللهجات العاميّة حولنا.

فأمّا الألفاظ فإنّ العاميّة لا تبالي أن تستحدث ما ليس له أصل في الفصيح، ولا تبالي أن يكون فيها ألفاظ داخلتها على مرّ القرون من لغات قديمة، أو تسرّبت إليها من اللّغات الأجنبيّة الحديثة، وهي تترك هذه الألفاظ على ما هي عليه، وقد تحرّفها ولكنّها لا تعربها، كما عرّبت الفصحى بعض الألفاظ الأعجميّة، ذلك «أنّ الكلمة إذا أخذها العرب من غيرهم، وصاغوها على أوزان حروفهم، ودارت في أشداقهم ومرنت عليها ألسنتهم صارت من لغتهم»[10]، فالمعرّب من إيجابيّات تلاقح اللّغات لأنّه أسهم في التطوّر وزيادة ثراء المعجم، وهذه خاصيّة في اللّغة العربيّة، التي استطاع علماؤها لمّا امتلكوا ناصيتها أن يستفيدوا من إمكاناتها، ويستثمروا ميزة صيغها، فكان من ذلك أن انضوت كلّ

مفردة أجنبيّة تحت باب من أبواب أنظمة المعجم العربي، ممّا أبعد اللّغة الفصحى عن خطر العاميّة المؤديّة إلى الثنائية؛ إن هي تمكّنت من مزاحمة الفصحى في الاستخدام اليومي أو العلمي.

فما أصاب اللّغة العربيّة الفصحى من اضمحلال، وصعود العاميّة مكانها، فسببه أولئك الذين أخذوا بمبدأ: (دع لغتك تجري وشأنها، ثم خذها وصفها في كلّ مرحلة كما هي، فهي نتاج حضارة تلك المرحلة، ووسيلة التّفاهم بين المتحدّثين لها في ذلك الوقت.) ، [11] فظاهر هذه العبارة لا اختلاف حوله في كون اللّغة وليدة زمانها وبيئتها الاجتماعيّة، شأنها شأن الأفراد الذين يتكلّمون بها، فالدّراسات اللّغويّة أثبتت «أنّ وجود مستويات التّعبير في اللّغة الواحدة أمر طبيعي، بل حتمي، وأنّه لا تنافي بين استعمال (لغة مثالية) في العلم والخلق، ووجود مستوى أدنى من البلاغ اللّغوي المباشر المتميّز»، [12] وهذا الوضع« ظاهرة ألسنية عالميّة تنطبق على عدد كبير من اللّغات، ولذا لا تشكّل اللّغة العربيّة حالة استثنائيّة وفريدة، بل تتساوى في ظاهرتها هذه مع عدد كبير من اللّغات».[13] إذن أن يكون للّغة العربيّة مستويان (أو أكثر) شيء طبعي كما سبق القول، لكنّ غير الطبعي أن يتباعد هذان المستويان تباعدا يصل بأحدهما ألاّ تفهمه، أو تفهمه ولكن بصعوبة جماعة عربيّة لها وزنها العددي. إذا لم تفهم بسهولة، جماعة عربيّة (أو مجتمع عربي) في بلد عربي ما عاميّة مجتمع عربي آخر، ولم تفهم جماعة عربيّة ما في بلد عربي ما عربيّتها الفصيحة فإنّ الأمر عند مؤشّر الخطر. لأنّ ذلك يعني انفصال حاضر اللّغة عن ماضيها بفعل لغة دخيلة أوجدتها ظروف قاهرة، كالاستعمار مثلا، لأنّ منتهى ذلك ثنائية

لغويّة بوصفها حالة مرضيّة لابدّ من القضاء عليها، وتحجيم دورها.

ج ـ مفهوم الازدواجيّة اللّغويّة:

هناك تباين في إدراج مصطلح الازدواجية اللغوية مع ما كنّا قد أثبتناه من معناها في هذه الدراسة؛ على أنه ثنائية لغوية، وهذا الاختلاف راجع أصلا إلى فوضى المصطلحات التي تعج بها كتب اللسانيات لا سيما في المغرب العربي، فما نصفه نحن بالثّنائية اللّغوية يعده إخواننا في المشرق ازدواجية لغوية، وهذا ما لاحظناه من خلال قراءة كتب اللّغة في شطري الوطن العربي مغربه ومشرقه، وإن كان بعض اللسانيين في المشرق كذلك يدينون بهذا المذهب الذي يجعل معنى الازدواجيّة موافقا لمصطلح الثنائية والعكس، ولكي لا يحدث تشويش في ذهن القارئ أدرجنا مفهوم الازدواجية على ما هو شائع في أغلب كتب اللغة؛ على أنها الظّاهرة المستهجنة والتي لا تعبّر **عن الثّراء اللّغوي عند** اكتساب الفرد لمعجم لغوي جديد يضيفه إلى رصيد لغته الأصيلة، ممّا يمكّنه من الاستجابة لفعل التّرجمة بوصفه سلوكا حضاريا ونافذة من نوافذ تغذية الفكر.

اختلف العلماء في تعريف هذه الظّاهرة، منهم من يقول أنّها: «استخدام فرد أو جماعة مستويين لغويين في بيئة لغويّة واحدة، أو التّنافس بين لغة أدبيّة مكتوبة ولغة عاميّة شائعة في الاستعمال اللّغوي»، [14] ومنهم من يقول أنّه: « **في كل لغة** بشرية لسان عاميّ، ولسان فصيح. ازدواجيّة هي ذاتها امتداد لازدواجيّة الفكر وهي العقل والحس، فالعاميّة تعبّر عن لغة ا**لحسّ المفكّكة المفاصل، والفصحى تعبّر عن لغة العقل المرتبطة المفاصل** »، [15] وبقيّة التّعاريف لا تخرج عن هذا الإطار الذي

يقرن الازدواجيّة اللغويّة بتمازج وتصاهر العاميّة واللّغة الأصيلة، ويمكن أن نحدّد مفهوم هذه الظّاهرة إذا فرّقنا بين اللّهجة والعاميّة، **كما** سبقت الإشارة إلى ذلك في العنصرين السابقين عند تعريف ظاهرتي اللهجة والعامية فما نعاني منه في الوطن العربي عامّة والجزائر خاصة هو تلك العجمة التي تظهر على الألسنة حيث لا يبدو صفاؤها عند النّطق والكتابة؛ نظرا لوجود ألفاظ أجنبية كثيرة محرّفة عن لغات أجنبية يمجّها أهلها لو سمعوها، لهذا رأى الأستاذ " هكسلي" أحد اللغويين الإنجليز، بأنه من الخطأ الجسيم أن يكتب العلم بلغة عامة الإنجليز، لأنّ ذلك يؤدّي إلى إضعاف المواهب العلمية، فضلا عن خسارة ملكة الإنشاء الفصحى؛ فترقية عقول العامّة لفهم لغة العلم العالية أسهل وأفضل من أن يتزيّا العلم بأزياء لغة العامة، فيتقهقر.وجاراه في ذلك كثير من علماء الاشتقاق على اختلاف لغاتهم. (16)

ثانيا: إرهاصات نشأة العاميات المعاصرة وأسباب ظهورها

تعدّدت الأسباب التي أدّت إلى ظهور هذه الظّاهرة اللّغويّة، التي تهدّد مستقبل اللّغات الأصيلة جميعها؛ بما في ذلك اللّغة العربيّة، التي لولا وجود القرآن لاندثرت قواعدها ومعالم معانيها التي تضمّنها الذّكر الحكيم، وعبّر عن أصالتها في التّراث العربي، ممّا جعل المتأخّرين يشعرون بقيمة هذه اللّغة، وأنّها كانت قادرة على بناء حضارة لها من الخصوصيّة ما يفردها عن غيرها، لكونها أسّست لبعد فكري متميّز أشاع بضيائه على جميع الأمم الأخرى التي استفادت من معين هذه الحضارة ونقلت منها ما شاء لها أن تنقل، وذلك بالاستعانة باللّغة العربيّة نفسها، أو بوساطة التّرجمة التي

دلّت في العهد الأندلسي على كمال نضج هذا العلم في تلك الفترة، حينما التقت الحضارة الشرقيّة تقودها اللّغة العربيّة[17] بالحضارة الغربية، لما تميّزت به من تراجع فكري في ذلك الوقت. وليس هذا موضع الحديث عن المعروف الذي أسدته الحضارة العربيّة للغرب، وإنّما وردت هذه الإشارة للتّدليل على أنّ اللّغة العربيّة الفصحى هي التي كانت وسيلة التّفكير حيث استخدمت نطقا وكتابة. غير أنّ ذلك لم يدم طويلا حتّى ظهرت أسباب أخرجت اللّغة العربيّة من دائرة الأحداث في صنع الحضارة الإنسانيّة، ومن أهمّ تلك الأسباب مايلي:

أ ـ انحسار المدّ الحضاري للعرب:

لقد شهدت الخلافة العباسيّة في أواخر عهدها تدهورا كبيرا شأنها شأن كلّ ملك آيل للزّوال في آخر عهده، حيث عانت هذه الخلافة في نهاية حقبتها من تغلغل العنصر الأجنبي، الذي وفد عليها من الأعاجم الذين أسلموا، أو أولئك الذين بقوا على دينهم، إلاّ أنّ تأثيرهم كان قويّا في الأوساط الرسميّة، كدوائر **الخلافة ومجالس القضاء والعلم**، مما أحدث شرخا في تلاحم العهدين بداية الدّولة وآخرها نظرا لضعف الخلفاء أنفسهم، فهم كثيرا ما استسلموا لأهواء أنفسهم ومن رغب في ملكهم من الأعاجم وأبنائهم، لأنّهم كلّما حزبهم أمر إلاّ واستدعوا غير العرب لاستشارته والنّجدة به على عدوّ من داخل الدّولة نفسها. فإن لم تكن هذه المظاهر السلبيّة قد أثّرت سلبا في تدهور اللّغة العربيّة الفصحى، بشكل واضح؛ فإنّها أسهمت ولا شك في انحسار المدّ الحضاري للمسلمين والعرب، وذلك حينما تشتّت شملهم وانقسموا إلى دويلات يدّعي كلّ حاكم فيها بأنّه الخليفة دون غيره، الأمر الذي

أوجب سقوط هيبة المسلمين والعرب في نظر غيرهم، هذا التّراجع الحضاري كان له كبير الأثر فيما بعده من أحداث التي بشّرت بسقوط الخلافة الإسلاميّة في بدايات العصر الحديث، لاسيما وأنّ الاستعمار ظهر أوّل ما ظهر والخلافة موجودة وإن كانت غير قادرة على أن تردّ كيد أعدائها، فكانت بداية الانهزام مؤشّرا على قدوم الانهيار[18] الذي توالى بظهور حدود وهمية ترسم جغرافية البلدان العربية إيذانا بتقسيم اللغة نفسها عند انتقال الفرد العربي من بلد إلى بلد، وكأنه سافر إلى بلاد غير تلك التي تربطه بها علاقة الدين واللغة والعرق.

ب ـ الدّعوة إلى العاميّة:

هذه اللغة المعاصرة التي نقرؤها ونكتبها خضعت منذ حين لمؤثرات شتى، وعوامل مختلفة، نهضت بها وأقالتها من عثارها بعد الكبوة الفادحة التي منيت بها في ظلام التيارات السياسية، والغزوات العارمة، والمحاولات المغرضة التي أرادت إحلال العامية محل الفصحى، وألّفت فيها الكتب التي وضعت للعامية قواعدها، ومنها كتاب قواعد اللهجة العربية بمصر لـ"شيبتا Spitta" الألماني سنة 1880م، كما ألف زميله الألماني "شتوم Stymm " قواعد اللّهجة العربية المستعملة في تونس سنة 1894م. ووضع المستشرق الإنجليزي "سترلنج Sterling" كتاب قواعد العربيّة العامية في 375 صفحة ونشره في لندن سنة 1904م ، وألف زميله الإنجليزي "دريفر Driver" قواعد العربيّة العامية في سوريا وفلسطين ونشره سنة 1925م ، [19] فلو تم الرّواج لهذه الكتب لكان أثرها بالغا في اللّغة العربية كأثر النار في الهشيم، وهذا لا ينفي أنّ بعض شظايا هذه الكتب

قد انتشرت وتلقّفها أنصار العامية ،وأصحاب الوطنية العصبية الضيّقة.

لقد تزعّم كِبر هذه الدّعوة إذا جملة من المستشرقين الذين أتقنوا اللّغة العربيّة، وعرفوا قيمتها، وكانت بالنّسبة إليهم المنفذ لتأسيس مناهج تربويّة جديدة، أرادوا من خلالها استحداث مدارس تختلف في نظام تعليمها عن تلك المراكز التعليميّة القديمة، وكان القصد إخراج العرب من جهلهم الذي سيطر عليهم بالنّظر إلى ما حدث من تطوّر في الحضارة الغربيّة، أثناء القرن التّاسع عشر، فجاءت هذه الدّعوة إلى تحديث أنظمة التّعليم، وذلك بإقصاء كلّ موروث له علاقة بالحضارة من قريب أو من بعيد إلاّ ما كان مقدّسا في أذهان العامّة. فأنشئت بذلك المدارس والجامعات وتخرّجت منها أجيال تنادي بصعوبة اللّغة العربيّة، وضرورة استبدالها بالعاميّة حيث ظهر جيل من الكتّاب يستخدمون العاميّة في كتاباتهم، لأنّهم أرادوا أن يبلغوا بذلك ما لم يستطعه المستشرقون أنفسهم، كما انتشر فكر أولئك الذين تتلمذوا في الغرب وعادوا إلى أوطانهم، ليروا بأنّ كلّ شيء عتيق ينبغي تحديثه وتجديده، بدءا بالإنسان. وكانت اللّغة أوّل ضحيّة، تلاها الدّين بوصفه حامي حماها، كما شعر بذلك الغربيّون عموما والمستشرقون خصوصا.

فبدأت أولى الملامح تنتشر وتصير قناعات لأنّه لا سبيل إلى العلم وفهمه، إلاّ إذا استُبعدت اللّغة العربيّة الفصيحة؛ لأنّها صعبة المنال بقواعدها وأساليبها، وأنّها لا تساير متطلّبات العصر من اختراعات واكتشافات. وهو ما صار قناعة راسخة في أذهان الأجيال المتعلّمة التي اتّقت الحرّ بالرّمضاء، ولم تشعر بأنّها اكتسبت أميّة علميّة

شعارها الأوّل خلوّ الوفاض من لغة تستخدم في الكتابة والقراءة، فللدّعوة إلى العاميّة تاريخ طويل وأعلام سجّلت أسماءهم في كتب التّاريخ المعاصر، إلاّ أنّ ذلك لم يفض في النّهاية إلاّ إلى التّشخيص دون حلّ بل ازداد الأمر تعقيدا، بعد أن نشأ ذلك الجيل الذي جعل تراث أمّته وراء ظهره، وتشبّث بكلّ ما هو مستحدث حتّى وإن خالف مقوّمات حضارته. فتعذّر بذلك وجود من يكتب باللّغة العربيّة الفصيحة دون خطأ أو لُكنة إذا تكلّم، فهو ومن حوله يرون اللّغة الهجينة لونا من ألوان التطوّر، ونسي هؤلاء وأولئك بأنّ هذه اللّغة مرتبطة بالقرآن الكريم مصدر التّشريع بالنّسبة لهذه الأمّة، التي لابدّ لها أن تقرأه لتستقي من تعاليمه، فإن هي لم تجتهد في استعادة مكانة لغتها، فهي حتما ستفقد دينها وهويّتها، كما هي عليه بوادر التّراجع والتخلّف في الفكر العربي المعاصر.[20]

ج-ظهور الاستعمار:

تزامن وجود الاستعمار في البلاد العربيّة مع الدّعوة إلى العاميّة، إلاّ أنّ ذلك لم يستفحل كما استفحل بعد خروج المستعمر نفسه، الذي كانت اللّغة العربيّة من أهمّ أولويّاته حيث عمل على تهميشها، وإحلال اللّهجات المحليّة مكانها، حيث حارب الكتاتيب ودور العلم التي كانت تعلّم اللّغة بتحفيظها للقرآن، فزاد ذلك من أميّة الشّعوب العربيّة التي لم تنتبه إلى خطر الغزو الحضاري، إلاّ بعد مرور أكثر من عشرين سنة بعد الاستقلال. لأنّ تلك الدّول المنهزمة خرجت من الاستعمار، وهي تبحث عن موضع قدم لها في العالم الجديد، الذي جعل منها مستودعا لنفايات الفكر ومصدرا من مصادر الدّخل، ولكي يتسنّى له المستعمر ذلك، ويضمن دوام

إمداداته من هذه الدّول عمل على تكوين نخبة من المفكّرين الذين لا يمتّون بأيّ صلة إلى حضارتهم، بل هم الذين اجتهدوا في قلب ظهر المجنّ لأمّتهم بأن رأوا في ماضيها أكبر معوّق لتقدّمها. وهذا الماضي هو حصيلة فكر وسيلته الأولى اللّغة العربيّة الفصحى، التي أبعدوا أبناءها عن قراءة **مخطوط** فكرها الذي تضمّنته الكتب، واستبدلوها بكتب جلبوها من الغرب على أنّها هي المصدر الأساس لكلّ حقيقة علميّة، فظنّ أبناء هذه الشّعوب العربيّة، بأنّ أسلافهم من العرب لم يُنتجوا إلاّ شعرا أو بعض الأقاصيص والحكايات الخرافيّة، فإن انتبه أحد إلى كتاب من كتب السّلف فيه من القيمة العلميّة ما يُضاهي فكر الغرب، سارعوا إلى الطّعن فيه والتّشكيك في سنده وروايته وأنّه منحول لا تصحّ نسبته إلى صاحبه، والدّليل على ذلك هو انصراف الباحثين المعاصرين عن تحقيق المخطوط، الذي رأى معظمهم بأنّ تحقيقه جهد لا طائل من ورائه.

د ـ القول بصعوبة العربيّة الفصحى:

وهذه دعوة أخرى نادى بها بعض الدّارسين المعاصرين؛ الذين أرادوا تيسير اللّغة وفق مناهج رأوها أقدر على تصحيح الوضع اللّغوي، في الوطن العربي، وحججهم في ذلك كمايلي:

ـــ إنّ في اللّغة العربيّة الفصحى عيوبا كثيرة، **تتمثّل** في كثرة مفرداتها، بحيث إنّ تلك الكثرة أصبحت مصدرا للغموض والإبهام، بينما تكون اللّغات للإفصاح والإيضاح.

ـــ إنّ خصائص العربيّة الفصحى الإعراب الذي خلت منه اللّغات الحديثة الحيّة، في حين أنّ العاميّة بعيدة عن الإعراب وتعقيداته.

ـ إنّ العربيّة الفصحى تعجز عن مجاراة التطوّر العلمي والتّقني. وليس أدلّ على ذلك من قصورها عن إيجاد ألفاظ تقابل المصطلحات العلميّة والفنيّة التي أوجدها ذلك التطوّر.

ـــ إنّ العربيّة الفصحى صعبة التعلّم وعسيرة التّعليم لجمود قواعدها وتعقّدها ولصعوبة رسم حروفها.

ـــ إنّ اللّهجة العاميّة هي (لغة) الشّعب كلّه، تسيل على الألسن بلا عسر ولا تصنّع، وتعبّر خير تعبير عن المشاعر والأفكار. [21]

وممّا لاشكّ فيه أنّ هذه الحجج لا تبتعد عن واقع صار حتميّة عندما اقتنع به المعلّمون والمتعلّمون في جميع الأطوار التعليميّة، فكان لابدّ أن تظهر جهود تؤسّس لهذه الظّاهرة وتتبّع ملامحها في دور العلم المختلفة؛ لأنّها صارت إشكاليّة تحتاج إلى حلّ، [22] تعذّر وجوده عند الكثيرين في جميع الأقطار العربيّة، التي عقدت مؤتمرات وندوات لمعالجة سبل تيسير تعلّم اللّغة العربيّة، ولم تكن جهودهم إلاّ توصيفا للحالة التي عُدّت مرضيّة، وانزاحوا لذلك عن الدّاء الأصيل الذي نخر جذع العمليّة التربويّة من أساسها، وهو عقم المناهج المستحدثة التي من مفارقاتها أنّها تعلّم القواعد قبل اللّغة، أو اللّغة بدون قواعد ممّا يجعل المتعلّم في حيرة من أمره يبحث عن لغة حفظ لها كمّا من القواعد، ولم يجد لها استخداما في واقع حياته.

وقد أحسن الأستاذ "عامر السامرائي" إذ رأى نقيض رأي أولئك الذين ادّعوا صعوبة الفصحى، وبيّن مثالب العاميّة إن هي استخدمت، فقال:

ـ إنّ اللّهجات العاميّة تشوّه ولا تخلق، فهي تأخذ ألفاظها من الفصحى، أو من لغات أجنبيّة أخرى، فتشوّهها بإبدال حروفها، أو تغيير بعض أصواتها.
ـــ اللّهجات العاميّة لا تصلح للكتابة، إذ ممّا لاشكّ فيه أنّ صعوبات جمّة تقوم في وجه من يريد الكتابة بالعاميّة، وتتضخّم الصّعوبات أمام من يريد تعلّمها، إذ ليس من قاعدة رئيسة هناك تُتّبع عند الكتابة.
ـــ اللّهجات العاميّة تتميّز بكثرة الألفاظ الأجنبيّة الدّخيلة عليها.
ـ إنّ اللّهجة العاميّة لا تستطيع التّعبير إلاّ عن المعاني السّاذجة العاميّة المتعارفة. وهي إن أرادت التّعبير عن المعاني السّامية اعتمدت على اللّغة الفصحى.
ـــ اللّغات تعتمد على قواعد في أساليب الكلام والكتابة، وهذه القواعد وسيلة لصيانة اللّغة من التبدّل والانحراف المخلّ، و وسيلة للتّعليم. أمّا اللّهجات العاميّة فهي خالية من القواعد.
ـ ليس في اللّهجات العاميّة أي يسر، فهي وإن كانت تجري على الألسنة التي ألفتها بسهولة إلاّ أنّها صعبة لمن أراد تعلّمها أو تعليمها.
ـ إنّ اختلاف اللّهجات العاميّة في الوطن العربي، سوف يؤدّي إلى وجود مترادفات كثيرة إذا ما أخذ بها. [23]

هـ ـ أسباب أخرى:

وهناك أسباب لها علاقة باللّغة وبالمجتمع جمعها " كايد محمود" أوجزها فيما يلي:
ـــ التطوّر اللّغوي في كلّ مستويات اللّغة، المستوى الصّوتي الذي يتمثّل في انحراف بعض الأصوات عن مخارجها ومواضع نطقها، والمستوى

الصّرفي كظهور صيغ ومشتقّات جديدة غير مقيسة ولا مسموعة عن العرب القدماء، كصيغ الجمع في بعض اللّهجات العربيّة، وصيغ التّصغير وغيرها. كذلك **المستوى النّحوي وعدم مراعاة علامات الإعراب إن** نطقت، و تركيب الجمل الذي يتمّ دون مراعاة للتّركيب الصّحيح، ثمّ المستوى الدّلالي وما يطرأ على معاني الألفاظ والصّيغ من تغيّر جرّاء أمور نفسيّة أو اجتماعيّة وغيرها، كلّ ذلك يؤدّي إلى ظهور فروق في النّطق بين المتكلّمين للّغة **الواحدة، وقد لاحظ مؤرّخو اللّغات أنّ القبائل والجماعات والطّ**وائف الدّينيّة وأصحاب المهن والجماعات الخارجة عن القانون وغيرها، كلّ مجموعة من هذه المجموعات تميل إلى إيجاد لغة خاصّة بها يمتنع فهمها عن المجموعات الأخرى، إنّها أشبه ما تكون بالشّيفرة التي لا يستطيع أحد فكّ رموزها غير أصحابها.

ـــ كذلك فإنّ الفوارق الطّبقيّة بين طبقات المجتمع لها دور في ظهور مثل هذه اللّهجات، إذ تعمل كلّ لهجة على إيجاد لغة خاصّة بها تميّزها عن غيرها من الطّبقات، فالطّبقة الأرستقراطيّة لها لهجتها الخاصّة بها، والطّبقة الوسطى لها لهجتها، كذلك تختصّ الطّبقة الدّنيا بلهجة معيّنة.

ـ و يجب أن لا يغيب عن بالنا دور الاحتكاك اللّغوي بين اللّغات وما ينتج عنه من ظهور لغات أو لهجات جديدة خسرت شيئا من خصائصها وصفاتها الأصيلة، وبدأت الابتعاد التّدريجي عن اللّغة الأم. كلّ ذلك يوصل إلى ظهور الازدواج اللّغوي.

ـ كما أنّ اختلاف البيئات داخل المجتمع الواحد له دور مهم في ظهور الازدواجيّة اللغويّة، فأبناء الرّيف مثلا يتحدّثون بلغة تختلف عن تلك التي

يتحدّث بها أبناء المدن، وهاتان تختلفان عن لهجة أبناء البادية، فأفراد كلّ بيئة يتّفقون على طريقة نطقيّة معيّنة يتعاملون بها في بيئتهم الخاصّة، فلا تستطيع اللّغة الأم أن **تستمرّ في** حياتها في كلّ البيئات وتحت كلّ الظّروف دون تغيّر أو تطوّر. من هنا ندرك أنّ الازدواج اللّغوي أمر حتمي موجود في كلّ اللّغات، وليس خاصّا بلغة دون أخرى، إنّه التطوّر اللّغوي القسري، كما أنّه امتداد لازدواجيّة العقل والحسّ عند البشر، ففي كلّ **لغة لسان** عامي وآخر فصيح. [24]

ـ وأهمّ سبب هو ما تتميّز به البيئة اللغويّة في الجزائر، حيث تنفرد عن غيرها بتعدّد اللّهجات المحليّة التي يختلف معجمها في مناطق ضيّقة جدّا، حيث يلاحظ التّباين في أقلّ المساحات الجغرافيّة في المدينة الواحدة، ممّا أدّى إلى صعوبة توحيد **اللّسان.**

ثالثا: الصراع بين العاميّات والفصحى في الجزائر

إن بوادر هذا الصراع تعود جذوره إلى الحقبة الاستعماريّة غداة ولوج الجيوش الفرنسيّة إلى الجزائر؛ حيث ضمّت في تركيبتها مجموعة من المستشرقين الذين أوكلت لهم مهمّة الترجمة قصد التّواصل مع الجزائريين وربط **العلاقات المختلفة،** وكان هؤلاء المستشرقون مستعربين من دول عربية مختلفة أوقفوا أنفسهم لخدمة حركة الاستعمار في جميع أقطار العالم، ومعظمهم كانوا في دوائر الخلافة العثمانية التي خلّفتهم حينما انهارت، **فما كان من أولئك العملاء إلا أن انضموا إلى** الجيوش الاستعمارية، وعملوا بوصفهم مترجمين أو أنهم احترفوا الاستشراق، ممّا مكّنهم من دراسة

المجتمعات العربية عن قرب صلتهم السّابقة باللّغة ومعرفتهم بأصول العادات والمعتقدات.

فوجود هذه الفئة ضمن جيوش الاستعمار أكسبتها قدرة على التكيّف مع الواقع اللّغوي الجديد، لأنّ المترجمين الذين واكبوا الحملة الاستعمارية عملوا على تكوين غيرهم من أبناء الشعب المُستعمر ليكون وريثهم في هذا الجهد، ولم تكن الغاية هي التّرجمة من الفرنسيّة إلى اللّغة العربية الفصحى؛ بل ظهر مصطلح آخر هو العربيّة الدّارجة ويقصدون بها العاميّة التي على ألسنة جمهور النّاس، ممّا يعني أن نية استبعاد الفصحى كانت مبيَّتة من قبل لأنها لغة القرآن فكان لابد من استهدافها أوّلا، وذلك لمحاربة دور العلم التي تدرّسها كالكتاتيب والزّوايا والمدارس التي كانت آنذاك، وذلك بإغلاقها لحرمان أبناء الشعب من معرفة أصول دينهم وحقيقة انتمائهم.

وقد تأسست مدارس فرنسية موازية لنشاط إغلاق الكتاتيب والزّوايا وذلك لتعليم اللّغة الفرنسية، وكانوا يطلقون عليها اسم المدارس الأهلية أو الكوليجات، أو المدارس السّلطانية، ومهما اختلفت التسمية فإنّ الهدف من التعليم في هذه المؤسسات هو خدمة المدرسة الاستعمارية، وإبعاد الجزائريين عن أصولهم وتراثهم، وسلخهم عن ماضيهم وإدخالهم في بوتقة الفرنسة بالذبذبة في البداية والجاذبية في النهاية، [25] **فكانت بذلك الدعوة** إلى إحلال الفرنسية محل الفصحى مقدّمة لتكريس العامية؛ لأنّه لا تصوّر لوجود الفصحى في عرفهم، فالعربيّة المقصودة هي اللّغة الدّارجة التي عملوا على تفعيلها، كما سيتضح من خلال هذه المراحل التي مرت بها الدعوة إلى العامية في الجزائر **أثناء الاستعمار وبعده.**

أ -ظهور مصطلح العربية الدارجة إبّان الإستعمار:

عدّ الفرنسيون اللغة العربية لغة أجنبية والفرنسية هي اللغة الرسمية. **وكان ذلك موقفا** واضحا من الدّين الإسلامي أيضا؛ لأنّ اللّغة العربية هي لغة القرآن الكريم ولغة الحضارة التي كتب بها تراث الدولة الإسلامية. ومن جهة أخرى كان موقفا سياسيا واضحا أيضا، لأنّ العربية كانت هي لغة البلاد الإدارية والقضائية والتعليمية، فإذا استثنينا الجهاز المركزي بالعاصمة حيث كان الخلط بين العربية والتركية، فإن إدارة الأقاليم والأوطان والجماعات والمدارس والمحاكم كانت كلها باللّغة العربية. وهكذا فإنّ اعتبار اللّغة الفرنسية هي اللغة الرّسمية كان نفيا لما عداها. ممّا يعني السّيادة السياسية لفرنسا وضرب الدين الإسلامي ولغته وحضارته.

ولكن هذا لا يعني استغناء الفرنسيين عن اللّغة العربية . لقد فهموا أن حاجاتهم الإدارية والاجتماعية لا يمكن أن تنجز إلا باستعمال هذه اللّغة. وقاموا من أجل ذلك بمحاولتين، الأولى هي إهمال تدريس العربيّة في المدارس القديمة ، وذلك بقطع مصادر الوقف عنها. والثانية هي الاكتفاء بتدريس العربية الدّارجة لضباط الجيش الرّاغبين في العمل الإداري من الفرنسيين.

وقد تولّى الفرنسيّون أنفسهم في البداية تدريس اللغة العربية الدّارجة، ثمّ أوكلت المهمة إلى بعض المشارقة الذين رافقوا جيش الحملة، مثل **"جوني فرعون"** ( وهو سوري - **مصري) سنة** 1832، **ثم** واصله "لويس برينيه" منذ 1836. وقد شاركه في ذلك عدد أخر من المستشرقين الذين انتشروا في **غرب** البلاد وشرقها، ومنهم "شيربونو" في قسنطينة،

و"ماشويل" في وهران. وصدرت عن هؤلاء مجموعة من الكتب التّعليمية بالعربيّة الدارجة والفرنسية، وهي كتب تقرأ من اليسار إلى اليمين، كما صدرت عنهم قواميس في الموضوع نفسه.[26]

وتمثّل هذه المرحلة أساسا لبقية المراحل بما في ذلك مرحلة ما بعد الاستقلال، لأنّ امتداد التّأثير بقي صداه يتردّد في كل مرّة تتعالى فيها الأصوات بصعوبة اللّغة العربية الفصحى، وعدم قدرة الشعب على استخدامها كما هي في التّواصل، والدّليل على ذلك أنّ الاستعمار ومن حذا حذوه من المستغربين كانوا يطلقون على الفصحى مصطلح لغة قريش لزرع عنصرية الفصل اللّغوي بين ماضي هذه الأمة وحاضرها، فهم قلّ ما يستخدمون مصطلح لغة القرآن.

ب ـ دعوة بعض الجزائريين إلى تعلم الفرنسيّة أثناء الحقبة الاستعمارية:

لقد ظهرت طائفة من الجزائريين ليسوا بالعملاء في الظّاهر ولكن استهوتهم الحضارة الغربية فأرادوا بها بديلا عن انتمائهم العربي الإسلامي، وهم أولئك الذين عرفوا بالاندماجيين؛ أي أنهم رغبوا في إدماج الشعب الجزائري مع الشّعب الفرنسي، وأنّ الجزائر لا تعدو في نظرهم أن تكون مقاطعة فرنسيّة، فهذه الفئة من الجزائريين سارت في فلك الاستعمار في جوانب كثيرة لاسيما في الدّعوة إلى إحلال اللّغة الفرنسية محل اللغة العربية الفصحى، فالفرنسية في نظرهم لغة العلم والتّقدم وأن توظيفها في الاستخدام اليومي والكتابة يساهم في ترقية الفرد العربي، فهو إن تعلّمها سيضطّلع على ما أنتجته الحضارة الغربية فلا يكون له بد من ترسّم خطاها في الرقي والتقدّم،

فهذه الدّعوة ظاهرها فيه الرّحمة و باطنها من قبله الازدراء باللغة العربية الفصحى.

وما زاد الطين بلّة أنّه ظهر في تلك الفترة أي النّصف الثاني من القرن التاسع عشر فريق من الكتّاب المحسوبين على الإسلام ينادون بضرورة تعلّم اللغة الفرنسية، والاستفادة من ملكتها وقدرتها على التّوصيل المعرفي، يقول الأستاذ "أبو القاسم سعد الله" : خلال الستينات ـــــ 1860ـــــ ظهرت على صفحات (المبشّر) كتابات بتوقيع رجال العلم الجزائريين يدعون قومهم للتعلم باللغة الفرنسية وتحصيل العلوم الفرنسية. لم يكن هؤلاء من خرّيجي السوربون، ولا من مدرسة سان سير، ولا حتى الكوليج الإمبريالي. كان بعضهم إماما للصّلاة، وبعضهم مدرّسا في المدرسة الشرعية - الفرنسية ، قبل أن تدخلها اللّغة الفرنسية، و بعضهم كان من المرابطين الذين تولّوا وظائف إدارية مثل "بن عمر علي الشريف" الذي دعا إلى ذلك في رحلته إلى فرنسا سنة 1852. وغيره من الشيوخ أمثال : "مصطفى بن السادات القسنطيني"، "محمود بن الشيخ علي بن عبد القادر" ، "حسن بن بريهمات" و "محمد بن الحاج حمو"، وهؤلاء أخذوا على عاتقهم دعوة مواطنيهم إلى التعلم باللّغة الفرنسية على صفحات الجريدة الرسمية ( المبشّر) .

إن السّلطات الفرنسية كانت تجد أمثال هؤلاء المشايخ في كل وقت يختمون على قراراتها ويصدرون لها الفتوى المناسبة، ومع ذلك فلا نستطيع أن نسمّي هؤلاء جميعا بأنصار الاستغراب والاندماج ، لأن هؤلاء الدعاة كانوا من الجهلة بالسّياسة ، أمّا الأنصار الحقيقيون للاندماج فهم طائفة أخرى،[27] كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

ج ـ اهتمام الاستعمار الفرنسي بإحياء اللّهجات:

**سبقت** الإشارة إلى أنّ اللّغة الرسمية في الجزائر كانت هي اللغة العربية الفصحى قبل دخول الاستعمار على الأقل في دوائر حكومات الأقاليم والحكومة الرسمية، كما أنّها كانت وسيلة التواصل نطقا وكتابة بين أفراد الشعب، غير أنّ ذلك لا يعني غياب اللّهجات في المجتمع الجزائري **قبل** الاستعمار فوجودها وجود طبيعي؛ بالنّظر إلى الهجرات المكثّفة التي شهدتها القبائل العربية بفعل تعرّضها للحروب؛ التي كانت في شبه الجزيرة العربيّة والأندلس، ويعدّ أكبر نزوح تعرّض إليه المغرب العربي هو ذلك الذي وفد عليه من الأندلس لاسيما في أيام سقوطها.

فالذين هاجروا إلى بلاد المغرب بما في ذلك الجزائر ظلوا على صلة بالقرابة التي تجمعهم حيث **حافظوا على نظام القبائل والعشائر، ممّا أدّى إلى** نشوء حدود اجتماعية من سماتها تشكل لهجة ظاهرها العربية الفصحى، وباطنها ألفاظ محرّفة عن اللّغة الأصيلة تتخلّلها ألفاظ من لهجات محلّية كانت تستوطن الجزائر قبل قدوم أهل شبه الجزيرة العربية والأندلس، فكلّ وافد لابد أن يصطحب معه ذخيرة لغويّة جلبها من الموطن الأصيل الذي كان يقطنه فبتلاقح هذه العوامل نشأت اللّهجات المحلية الجديدة قبل الاستعمار، بالإضافة إلى لغة البربر **التي تنفصل تماما عن** أي مظهر لغوي في العربية **الفصحى.**

**فلّما وفد الاستعمار على الجزائر عمل على** إحياء اللهجات و النّعرات قصد إفشاء الفُرقة بين الشعب الذي وحّده الدّين واللّغة العربيّة، حيث كانت كل لهجة لا تتعدّى محيط القبيلة أو العشيرة، فعندما انتبه المستشرقون الذين واكبوا الحملة

إلى هذه الخاصيّة، نشط بعضهم في البحث عن أصول هذه اللّهجات، وعكفوا على إحيائها وبعثها، وذلك بالتّرويج لها من خلال تصنيف الكتب عنها والتعريف بها، فهذا الجهد له مشروعيّته العلمية إلاّ أن خلفيته كانت كثيرا ما تضمر السوء للّغة العربية الفصحى، فهم حاولوا أن يشغلوا أذهان النّاس بلهجاتها الضيقة لكي يتسنى للمستعمر تهميش اللّغة العربية وإقصائها.

إنّ الدّعوة إلى إحياء اللّهجات والقول بوظيفيّتها لهو أكبر ضرر من العاميّة نفسها، فلو ادعتّ كل طائفة أنّ لهجتها أحق بالاستخدام من غيرها؛ لكان ذلك أدعى إلى فتنة أشد من فتنة القتل نفسها، خاصة إذا كانت البلاد كالجزائر مثلا تحوي على الأقل أربع لهجات رئيسة وأكثر من خمسين لهجة فرعية تتباين في بعض الألفاظ فقط؛ وتلك اللهجات الرئيسة هي: القبائليّة أو البربرية، التّرقية، الميزابية، الشاوية، وما بقي من الشّعب يتحدّث العاميّة الهجينة هذا بعد الاستقلال، أما أثناء الاستعمار فالشعب إن لم يكن منضويا تحت اللّهجات الرئيسة السّابقة فهو يتحدّث بلهجات تعتمد تحريف الفصحى لا غير.

د ـ أساليب محاربة اللّغة العربية بعد الحرب العالمية الأولى:

ومنذ ثلاثينيّات القرن العشرين قامت السّلطة الفرنسية بحملة منسقة ضدّ اللّغة العربية باعتبارها أحد مقومات الهوية الوطنية. وتجلّت الحملة في إغلاق المدارس الحرّة، والتّأكيد على اعتبار العربيّة لغة أجنبية، واضطهاد المعلّمين الأحرار، وعدم التّرخيص بفتح المدارس وقمع الصحف العربية، وصدور تصريحات معادية تولاّها كبار المسئولين الفرنسيين، كما أطلقوا العنان لبعض

الاندماجيّين الجزائريّين لمهاجمة القوميّة العربيّة والوطنيّة والدّعوة إلى أنّ الفرنسيّة هي لغة الحضارة للجزائريّين.كما أنّ الصّحف الفرنسية ذات الاتجاهات المختلفة ، بما فيها الاتجاه الشيوعي، أخذت تهاجم اتّجاه جمعية العلماء المسلمين والحركة الوطنية. وقد صرّح الجنرال "كاترو" بأنّ عشرين مدرسة فرنسية ستؤدي إلى اختفاء اللّغة العربية تماما من الجزائر خلال عشرين سنة. ونادى وزير العدل "ركار" وغيره بترجمة القرآن إلى الفرنسيّة وفرضه على الشّعب، وحذف كل ما يمت بصلة إلى النّخوة والقومية فيه، ومنع المسلمين من تعلّم العربية. وطالب البعض بعدم التّرخيص لأي معلّم للعربيّة إلا بعد اجتياز امتحان خاص بالفرنسية. وكذلك بإغلاق حدود تونس حتى لا يتسرّب إليها الرّاغبون في التعلّم بجامع الزيتونة. [28]

إلاّ أنّ هذه الحملة الشّرسة جاءت في وقت ازدهر فيه نشاط الحركة الوطنيّة التي أسّست منابر إعلاميّة تدافع عن حق الشّعب في الاستقلال المادّي والمعنوي، وكانت اللّغة العربيّة من أولويّات اهتماماتها، حيث انبرى صفوة من الكتّاب يذودون عنها ويذبّون عن حياضها، [29] فأولئك الكتّاب شهدوا فترة تألّق الأدب الحديث في المشرق، ذلك الأثر الذي عاد بالفائدة على البلاد العربيّة في المغرب بما في ذلك الجزائر، فما تركه كتّاب من أمثال "البشير الإبراهيمي" و"عبد الحميد بن باديس" و"العربي التبسي" و"مبارك الميلي" من مؤلّفات ومقالات تضاهي في لغتها لغة روّاد النّثر في العصر العبّاسي وما بعده، كما ظهر جيل من الشّعراء كان اللّسان الذي ينطق بالفصحى ويعبّر عن واقع الشّعب الجزائري، وما يعانيه من اضطهاد فكان هذا التّرس بمثابة الحصن الذي حافظ على تراث اللّغة العربية

الفصيح، كما أن وجود أولئك النخبة ضمن للشّعب انتماءه الدّيني والحضاري، والدّليل على ذلك أنّ الشّعب الجزائري ما زال إلى اليوم يدين لجمعيّة العلماء المسلمين بمعروفها الذي أسداه علماؤها له بإخراجه من دياجير الجهل والخرافة التي عاشها ردحا من الزّمن.

**هـ ـ أثر التّرجمة الاستقطابيّة السلبيّة في اللّغة العربيّة أثناء الحقبة الاستعماريّة:**

لقد كان فعل التّرجمة نفعيّا أكثر منه شيئا آخر بالنّسبة للمستعمر، الذي استفاد من هذه العمليّة لصالحه، ولم يدّخر جهدا في توسيعها متى انحصرت سبل تواصله مع مستعمرَه، فطول المدّة الزمنيّة التي قاربت القرن ونصفه، أوجبت هذه الحاجة الماسّة للتّرجمة في كلّ ميادين الحياة، وقد نقل الأستاذ "أبو القاسم سعد الله" قولا عن "شارل فيرو" يوضّح فيه بدقّة واقعيّة التّرجمة في تلك الحقبة الاستعماريّة التي سبقت قيام الثّورة، حيث قال: «إنّ حركة التّرجمة هي الحركة التي بدأها شذّاذ من كلّ جنس ودين، وطوّرها مستشرقون عسكريّون، كرّسوا حياتهم لخدمة السّلطة الاستعماريّة، ووظّفوا لذلك عددا من الجزائريّين. فاستفادت اللّغة الفرنسيّة ولم تستفد اللّغة العربيّة أيّ شيء، بل كانت تموت بالتدرّج كما خطّط لها أنصار التّرجمة من العربيّة إلى الفرنسيّة فقط. لقد كانت العربيّة هي الخاسرة لهذه الأسباب:

1 ـ سيطرة اللّغة الفرنسيّة في الإدارة والقضاء والصّحافة والجيش ثمّ الشّارع، سيما في المدن الرّئيسيّة.

2 ـ تدريس اللّهجات العربيّة للفرنسيّين و الأوروبيّين وحتّى للجزائريّين في المدارس.

3 ـ تدريس بعض اللّهجات البربريّة منذ أواخر القرن الماضي، ثمّ تسييس تعلّمها وجعلها منافسة للعاميّة والفصحى.

4 ـ مهاجمة الإسلام والقرآن من قبل رجال الكنيسة والتقاء آراء هؤلاء مع آراء المستشرقين في كثير من الوجوه.

5 ـ اعتبار اللّغة الفرنسيّة هي اللّغة الرسميّة الوحيدة واللّغة العربيّة، لغة أجنبيّة.

6 ـ معاملة اللّغة العربيّة معاملة اللّغات القديمة الميتة، واعتبار العربيّة الجديدة التي ظهرت مع حركة الإحياء في المشرق لغة أجنبيّة. [30]

فكان استدمار العقل وتفريغه ومسخ هويّة الشخصيّة أضرّ من استدمار العمران والأرض، وهو الجهد الذي تأسّس من أجله الاستشراق أوّل ما تأسّس، ولازمه في ذلك كلّ من التّبشير والاستعمار، فهذه الثلاثيّة المقيتة هي التي أودت بحاضر الوطن العربي والإسلامي كلّه[31]، وما الثنائية اللّغويّة التي سيطرت على الجزائريّين ولا تزال، لأكبر دليل على أثر تلك التّرجمة، التي اعتمدت العاميّة وأقصت حضور اللّغة العربيّة، في أكثر من موقف من مواقف التّواصل، لاسيما الرسميّة منها، وقد اقتفى أثرها كثير من الجزائريّين بعد الاستقلال، فلم تقدّم لنا التّرجمة ملمحا من ملامح الحضارة العلميّة التي ارتقى إليها الغرب، وبخل بها عن غيره، يعود ذلك إلى تقاعس أهل اللّغة العربيّة أنفسهم، فهم قلّما اجتهدوا في فتح هذا المجال وولوجه بشكل تحذوه العزيمة والإرادة. فلو تُرجمت كتب المعارف في الغرب المعاصر إلى اللّغة العربيّة، لكان شأننا شأن الغرب حينما ولج بلاد الشّرق ونهب آثارها الفكريّة، وارتكز عليها لبناء

حاضره ومستقبله، فلو حدث استغراب دون استلاب حضاري، لحقّقنا المزيّة التي ظفر بها الاستشراق حينما وفد على البلاد العربيّة والإسلاميّة.

و ـ واقع اللّغة العربيّة بعد الاستقلال:

لم يكن واقع اللّغة بأحسن حال بعد الاستقلال عن ما كان عليه قبله، لأنّ امتداد التأثير كان كبيرا في الأجيال التي عاشت مرحلة النّصر؛ لأنّهم ورثوا أرشيفا كبيرا باللّغة الفرنسية لم تستطع الجزائر التخلّص من تبعاته إلى اليوم، فهناك بعض الوثائق ما زالت اللّغة الفرنسية فيها تزاحم اللّغة العربية التي أصدرت حولها العشرات من القرارات للتّمكين لها غير أنّ ذلك لم يُحدث جديدا، بل نشأ جيل آخر لا يحسن أيّ لغة إذ تسيطر عليه العاميّة فلا يفهم أي شيء إلا بها؛ حتى في حجرات الدرس من أدنى مستوى تعليمي إلى أعلاه، وهذا هو شؤم العامية التي تهدم أصول اللّغات بما في ذلك الأجنبية، وعامية الجزائر عاميات لكثرة اللّهجات التي حرّفت عن أصلها، وطعّمت بألفاظ أجنبية عمل الإعلام بشتّى وسائله على تسرّبها إلى اللّغة اليوميّة المستخدمة، فبات من العسير التخلّص منها.

خاتمة:

ليست العاميّة مرضا لغويا، يمكن أن يعالج بدواء مدّة استخدامه محدودة بزمن؛ بل هي مرض عضال سرى في جسد اللّغة الأصيلة، لا حل له إلا استئصاله بالوعي الفكري الذي يعيد الأمور إلى نصابها، حيث تعود المرجعيّة الحضارية وهويّة الانتماء إلى اللّغة الأصيلة بوصفها أداة التّفكير وحدها دون

غيرها، وهذا هو الواقع الذي كانت تعيشه اللّغة العربيّة أيّام ازدهار الحضارة العربيّة، فهي التي أنتجت تراثا فكريّا لم ينضب معينه إلى اليوم بل هو مستودع الفكر كلّه الذي تقتات منه الحضارة الغربيّة وإن كانت لا تقرّ بذاك.

إنّ الدّعوة إلى استبعاد العامية واستئصالها هي دعوة لربط أواصر الوحدة بين الأمّة العربيّة؛ التي لو اجتمعت عاميّاتها كلّها لكانت شتاتا لغويا يصعب جمع شمله بأي وسيلة كانت، لهذا فإنّ اللّغة العربية الفصحى هي عنوان وحدتنا الذي يسعى المستغربون لطمس معالمها وحقيقتها بدعوات مغرية تكاد أن تجعل من اللّغات الأجنبية بديلا عن اللّغة العربية في التّواصل بين أفراد الوطن العربي، فإذا كان أهل اليمن مثلا لا يفهمون لهجة أهل المغرب العربي فإنّ أولئك المستغربين سرعان ما يجدون الحلّ باللّجوء إلى لغة أجنبية هي اللغة الإنجليزية في الغالب؛ لكي تترسّخ في أذهان الأجيال الصّاعدة أنّه لا يوجد **أصعب من تعلم اللّغة** العربيّة الفصحى؛ لهذا وجب تعلّم اللّغات الأجنبية **قصد اكتساب المعارف والتمكّن من التّواصل، فكانت بذلك** هذه الغاية هي مطمح الأنفس، ولم يدرك دعاتها أنّهم سيقبِرون اللّغة العربيّة بهذا الشّكل **آجلا أو عاجلا.**

الإحالات:

(1) جلال الدين السيوطي: سبب وضع علم العربية، تحقيق: مروان عطية، دار الهجرة، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى، 1988م، المقدّمة وما بعدها. يقصد بعلم العربيّة النّحو.

(2) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت ـ لبنان، **الطبعة الخامسة**، 1984م، ص 546.

(3) عبد الرحمن بن محمد القعود: (الازدواج اللغوي بين الفصيحة والعاميّة وعلاجه)، ندوة ظاهرة الضّعف اللّغوي في المرحلة الجامعيّة (17-10-1995م)، **جامعة الإمام محمد بن**

سعود الإسلامية، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، 263/1.

(4) ينظر ما أورده عيسى اسكندر المعلوف من كتب صنّفت في اللّحن عند العرب، في مقاله (اللّهجة العربيّة العاميّة): اللهجات العربية بحوث ودراسات، جمع وإعداد: ثروت عبد السميع، مراجعة: محمد حماد، إشراف: كمال بشر، مجمع اللغة العربية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 2004م، ص17- 48.

(5) أحمد محمد قدور: مصنفات اللحن والتثقيف اللّغوي حتى القرن العاشر الهجري، وزارة الثقافة وإحياء التراث العربي، دمشق ـ سوريا، (د، ط)، 1996م، ص 55.

(6) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 2000م، مادة [لهج]، 2/359.

(7) أنطوان نعمة وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، 2000م، ص 1304.

(8) إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، 2003 [د ط]، ص16.

(9) ينظر اللّغات في القرآن: رواية ابن حسنون بإسناده إلى ابن عبّاس، تحقيق: صلاح الدّين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثّالثة، 1398هـ، 2 وما يليها، يقصد المؤلّف بمصطلح اللّغات لهجات العربيّة.

(10) أبو منصور الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب، القاهرة ـ مصر، (د، ط)، 1389هـ/1969م، ص 11.

(11) نقلا، عن عبد المحسن بن فراج القحطاني: (أثر المجتمع والأسرة في الازدواج اللغوي بين الفصحى والعاميّة)، ندوة ظاهرة الضّعف اللّغوي في المرحلة الجامعيّة (17-10-1995م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، 82/1.

(12) نقلا عن،عبد الرحمن بن محمد القعود: (الازدواج اللغوي بين الفصيحة والعاميّة وعلاجه)، ندوة ظاهرة الضّعف اللّغوي في المرحلة الجامعيّة (17-10-1995م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، 194/1.

(13) ريمون الطحان ودنيز بيطار الطحان: اللغة العربية وتحديات العصر، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، 1984م، ص 39- 40.

(14) محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، مكتبة غريب، القاهرة ـ مصر، (د، ط)، (د، ت)، هامش ص 6، 18.

(15) كمال يوسف الحاج: فلسفة اللغة، دار النهار، بيروت

ـ لبنان، (د، ط)، 1967م،ص 254.
(16) نقلا عن عيسى إسكندر المعلوف: (اللهجة العربية العامية) ، اللهجات العربية: بحوث ودراسات ،ص 15.
(17) محمد ماهر حمادة: رحلة الكتاب العربي إلى ديار العرب فكرا ومادة، القسم الأول: دراسة منهجية لانتقال الفكر العربي الإسلامي والكتاب العربي إلى ديار الغرب وأثره في النهضة الأوروبية، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م،ص51 - 103.
(18) محمود محمد شاكر: (قضية اللغة العربية، جزء صغير من الحقيقة المفزعة)، جمهرة مقالاته، جمعها: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، (د، ط)،(د ،ت)، 2/1198- 1199.
(19) محمد عبد السلام هارون : قطوف لغوية ( دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث) ، مكتبة السنة القاهرة-مصر، الطبعة الأولى،1988م،ص 66.
(20) ينظر التفصيل في الدعوة إلى العامية في مصر وغيرها، محمود محمد شاكر : أباطيل وأسمار ، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر ، الطبعة الثالثة، 2005 م،ص 116.
(21) عامر رشيد السامرائي: آراء في العربية، مطبعة الإرشاد، بغداد ـ العراق، (د، ط)، 1965م،ص 131.
(22) ينظر ما رصده محمد عبد المطلب جاد من معوقات في تعلم اللغة العربية، وذلك في كتابه، صعوبات التعلم في اللغة العربية، دار الفكر، عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م،ص 18 وما بعدها.
(23) عامر رشيد السامرائي: آراء في العربية ،ص 133.
(24) إبراهيم كايد محمود: العربية الفصحى بين الازدواجيّة اللّغويّة والثّنائيّة اللّغويّة، المجلة العلمية بجامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانيّة والإدارية، ذو الحجة 1422- مارس 2002م، 3/ 62.
(25) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي( 1830-1962)، دار البصائر، الجزائر- الجزائر،2007 م، 3/ 322.
(26) المصدر نفسه، 8/13-14.
(27) المصدر نفسه، 6/ 207-330،208.
(28) المصدر نفسه، 8/26-27 .
(29) الإمام محمد البشير الإبراهيمي: آثاره، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1997م، 3/216.
(30) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 6/168.
(31) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاث وخوافيها: التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار، (دراسة وتحليل وتوجيه، ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، دار القلم، دمشق ـ سوريا، الطبعة الثامنة، 1420

هـ/2000م ، ص52- 187.